من مقاصد الحج الوَحدة بين المسلمين

الحمدُ لله الخالق الواجد، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الماجد، والكل إليه عائد، وأشهد أنّ سيّدَنا محمدًا النبي الساجد العابد الحامد ρ، أما بعد،،،

فمع قدوم موسم الحج واستعداد الحاجّين والمعتمرين لهذه الرحلة المباركة وتلبية النداء الرباني تتجلى أهم الدروس والعِبَر، ومن أهم مقاصد الحج الوَحدة بين المسلمين.

وحد الزمان ووحدة المكان ووحدة المناسك.

فأما وحدة الزمان فالكل يحج في شهر ذي الحجة ولا ينعقد الوقوف بعرفة إلا يوم عرفة.

وأما وحدة المكان فلا طواف إلا بالكعبة ولا سعي إلا بين الصفا والمروة ولا رمي جمار إلا في مِنى.

وأما وحدة المناسك فكل حاج يطوف بالبيت سبعًا، غني أو فقير، عالم أو جاهل، صحيح أو سقيم، ذكر أو أنثى، والكل يبدأ في طوافه بالحجر الأسود، يبدأ سعيه من جبل الصفا وينتهي بالمروة، يرمي الجمرات سبع حصيات في كل جمرة، يحتاط من محظورات الإحرام، يترك أهله وماله ويتفرغ لأداء هذه الشعائر وتلك المناسك.

أمة واحدة وتلبية واحدة وشعيرة واحدة يباهي بهم ربُّهم الملائكة ويقول: **(انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي جاؤوا شُعْثًا غُبْرًا حاجين، جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي)**[صحيح ابن حبان]

من كل بقاع الأرض يأتون، وبقولهم (لبيك اللهم لبيك) يلبُّون، ولربهم يضرعون، ولرحمته يرجون، قال تعالى: **(وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)** **[الحج: 27]**

ومن كل مظاهر الوحدة والتماسك والترابط الديني تتأكد أهمية الوحدة بين المسلمين في زمن لا يعلو فيه إلا صوت التعاون، ولا يفلح فيه إلا مظهر التآخي، والمسلمون أحوج إلى الوحدة والتعاون والترابط والتماسك في هذا الزمان من أي وقت مضى.

فما الوَحدة؟ وما منزلتها في هذا الدين؟ وكيف السبيل إلى تحقيقها؟

الوَحدة تعني: نبذ الفرقة، والاهتمام بتآلف القلوب وتعاون المسلمين تحت راية الإسلام وفق المنهج الرباني كتاب الله وسنة رسوله j، ومن مظاهر هذه الوحدة التعاطف والتراحم بين جموع المسلمين في كل مكان، والتعاون المشترك على البناء والتعمير وسوق الخير للغير، فلا تعالي ولا تعاظم، ولا تقاطع ولا تدابر، ولا أنانية ولا كبر ولا غرور.

والوَحدة أيها المسلمون أمر رباني وغاية دينية، قال تعالى: **(وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ)[آل عمران، 103]**، وقد ذيَّل الله آيتي الوحدة بالأمر بالعبادة والتقوى؛ إشارة إلى ان الوحدة بين المسلمين نوع عبادة وسبيل تقوى الله، قال تعالى: **(إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ) [الأنبياء: 92]**، وقال تعالى: **(وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ) [المؤمنون: 52].**

وفي زمن قد أضرت الخلافات بالأمة، وأنهكتها النزاعات التي كانت سببا لضعفها وضياع حقوقها في عصر لم يعد يسمع فيه صوت الضعفاء ولا أنين الجرحى، قال تعالى: **(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** (الأنفال: 46) فارتفاع الأصوات المسلمة هنا وهناك تنادى بضرورة وحدة الأمة واجتماع كلمتها أصوات صادقة ينبغي أن تتجاوب لها الأقطار الإسلامية لتنقذ نفسها وتحمى حقها.

ومن أهم ما يدعم الوحدة ويسهم في تحقيقها:

(1) نبذ الخلافات السياسية والعرقية والعلمية، والاهتمام بتقارب وجهات النظر بين المسلمين؛ فقد عبَّر الرسول j عن الخلافات المبنية على اللون أو العرق أو النزعة السياسية بقوله: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ. متفق عليه.

(2) احترام التخصص في كل مجال، بأن نحترم العلماء في مجالاتهم المختلفة الطبية واللغوية والدينية، حتى يتوحد الصف المسلم قال تعالى: **(وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا**

فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) [الأنعام: 153]. ومَن تكلم في غير علمه وفنِّه أتى بالأعاجيب.

(3) قلة الكلام إلا فيما ينفع، ومن أراد أن يخدم الإسلام حقًا فليقلل كلامه وليجعل أفعاله وأخلاقه تدلل على صدقه، ويهتم بالتعاون مع أهل الاختصاص في كل مجال، ففي أواخر عام أربعين من الهجرة وبداية العام الواحد والأربعين تنازل سيدنا الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، فتوحدت كلمة المسلمين وسُمِّي هذا العام بعام الجماعة، والقضاء على التتار لم يحصل إلا باجتماع جيوش المسلمين تحت إمرة سيف الدين قطز.

ختامًا فما المرء إلا بإخوانه كما تقبض الكف بالمعصم

ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجذم.

نسأل الله أن يوحِّد صفنا، وأن يجمع شملنا، وأن يجعل راية الإسلام ترفرف بالسلام والأمان في كل بقاع الدنيا.

كتبه : فضيلة الشيخ: محمد حسن عبد العظيم – مبعوث وزارة الأوقاف المصريّة بالبرازيل .